

البَابُ الثَّالِثُ

اللقاء النازحي بسين الشيخ والأمير
وتأسيس الدولة في الدرعية

اللقاء التاريخي

خرج الدين ، يطلب سيفاً مجمه .
وانطلق السيف ، ينشد ديناً يهديه .
وتلاقيا ، عام ١١٥٧ ، في «الدرعية» !

قال الدين للسيف : أعطيك الملك والنصر !
وقال السيف للدين : أعطيك الجهاد والصبر !
.. وكان العهد المسؤول !
.. وكان الجهاد الموصول !
.. وكان المجد المأمول !

تلك قصة اللقاء التاريخي :
بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،
وبين الأمير محمد بن سعود .

.. ففي هذا اللقاء :
وضع ميثاق الدرعية ،
وولدت الدولة السعودية ،
وبدأ تاريخ نجد الحديث ،
.. بل تاريخ الجزيرة العربية !

الفصل الأول

اللقاء التاريخي بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود وميثاق الدرعية

رواية ابن بشر

يصف لنا « ابن بشر » قدمه الشيخ الى الدرعية وصفاً شعرياً ، بمنح الأخيلة ،
فيقول إن أمير العينة ، بعد أن طلب من الشيخ الخروج من بلده ، أمر فارساً
عنده ، يقال له « الفريد » ، مع خيالة معه منهم طوال الحراني ، وقال :

اركب جوادك وسر بهذا الرجل الى ما يريد !

فقال الشيخ : أريد الدرعية .

فركب الفارس جواده ، والشيخ بمشي راجلاً أمامه ، وليس معه إلا المروحة ،
وذلك في غاية الحر في فصل الصيف .

فقال ابن معمر لفارسه ، إذا أنت وصلت إلى أخيه يعقوب ، فاقتله عنده !
- وكان يعقوب هذا رجلاً صالحاً ، قُتِلَ ظمأً بين الدرعية والعينة ، وجُعِلَ

في غار جبل هناك ، على قارعة الطريق ، ونسب الشيخ الى اخوته لأجل الصلاح -
فسار الفارس ، والشيخ أمامه ، وهو لا يلتفت ، ويلهج بقوله تعالى :
« ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .
وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله الا الله ، والله أكبر !
والفارس لم يكلمه ، فلما تم بقتله ، كفّ الله عنه يده وأبطل كيدته وقذف
الله سبحانه في قلبه الرعب حتى ما استطاع أن يمشي قدماً ، فحرف جواده وانصرف
الى العينة ، وقال لعثمان : إنه أصابني رعب عظيم حتى خفت على نفسي !
وأما الشيخ فإنه صار الى الدرعية ، فوصل إلى أعلاها وقت العصر ، فقصده الى
بيت محمد بن سويلم العربي ، فلما دخل عليه ضاقت عليه داره وخاف على نفسه من
ابن سعود ، فوعظه الشيخ وأسكن جاشه ، وقال : سيجعل الله لنا ولك فرجاً
ومخرجاً .

فعلم به خصائص من أهل الدرعية فزاروه خفية ، فقرّر لهم التوحيد واستقر في
قلوبهم ، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنصرته فهابوه ، فأتوا الى
زوجته موضى بنت « أبي ومطان من آل كثير »^(١) ، وكانت ذات عقل ومعرفة ،
فأخبروها بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهى عنه ، فوقر في قلبها معرفة التوحيد
وقذف الله في قلبها حبة الشيخ ، فلما دخل عليها زوجها محمد ، أخبرته بمكانه ، وقالت
ان هذا الرجل أتى إليك ، وهو غنيمة ساقها الله لك فأكرمه وعظمه واغتم نصرته !
فقبل قولها ، وألقى الله سبحانه في قلبه للشيخ المحبة ، فأراد أن يرسل اليه ،
فقالوا : سر إليه برجلك في مكانه ، وأظهر تعظيمه والاحتفال به ، لعل الناس أن
يكرموه !

فسار إليه محمد فدخل عليه في بيت ابن سويلم ، وقال :
« ابشر ببلاد خير من بلادك ، وابشر بالعز والنعمة » .
فقال الشيخ :

(١) في الأصل بياض . والزيادة من كتاب « الحيدري » : عنوان الهدى في بيان أحوال بغداد
والبصرة ونجد .

وأنا أبشرك بالعز والتمكين . وهذه كلمة « لا إله إلا الله » ، من تمسك بها وعمل بها ونصرها ، ملك بها البلاد والعباد ، وهي كلمة التوحيد وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم الى آخرهم .

ثم أخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله (ص) . وما دعا إليه وما عليه أصحابه رضي الله عنهم من بعده ، وما أمروا به وما نهوا عنه وأن كل بدعة بعدكم ضلالة ، وما أعزم الله به بالجهاد في سبيل الله ، وأغنام به وجعلهم إخواناً ، ثم أخبره بما عليه أهل نجد اليوم من مخالفتهم بالشرك بالله تعالى ، والبدع والإختلاف والجور والظلم . فلما تحقق (محمد) معرفة التوحيد ، وعلم ما فيه من المصالح الدينية والدينية ، قال له :

— يا شيخ ! إن هذا دين الله ورسوله ، الذي لا شك فيه . وابشر بالنصرة لك ولما أمرت به ، والجهاد لمن خالف التوحيد !
ولكن أريد أن أشتط عليك اثنتين :

١ — نحن اذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله ، وفتح الله لنا ولك البلدان ، أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا !

٢ — والثانية أن لي على الدرعية قانوناً آخذه منهم ، في وقت الثار ، وأخاف أن تقول : لا تأخذ منهم شيئاً !

فقال الشيخ :

أما الأولى ، فابسط يدك . الدم بالدم والهدم بالهدم ^(١) .

(١) « جاء في لسان العرب » : « وفي الحديث أن أبا الهيثم بن التيهان ، قال لرسول الله (ص) :

ان بيننا وبين القوم حبلاً ونحن قاطعوها ، فنخشى ان الله أعزك واظهرك ان ترجع الى قومك .. فتبسم النبي (ص) . ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم . انا منكم وانتم مني !

فاهدم القبر ، يعني اقبر حيث تقبرون ، وقيل هو المنزل اي منزلكم منزلي .
والهدم بالسكون وبالفتح ايضاً هو اهدار دم القتل ، والمعنى : ان طلب دمكم فقد طلب دمي ، وان هدر دمكم فقد اهدر دمي !

عن ابن الاعرابي : العرب تقول : دمي دمك وهدمي هدمك ، وهذا في النصرة والظلم .
قال ابن الاثيري : ومن رواه الدم والهدم الهدم ، فهو على قول الحليف ، تطلب بدمي وانا اطلب بدمك ، وما هدمت ، اي عفوت عنه واهدرته ، فقد عفوت عنه وتركته !

أما الثانية ، فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها .

« فوقع تحقيق ظنه رحمه الله تعالى ، فإنه أتى إليه غنيمة عظيمة ، فقال له الشيخ : هذا أكثر مما أنت أخذته على أهل بلدك ! فتروكها بعد ذلك » .
ثم إن محمداً بسط يده ، وباع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده !

نقد رواية ابن بشر

تلك قصة اللقاء التاريخي بين الشيخ والأمير ، كما قصها ابن بشر ، وهي لوحة فنية معبرة ، تستحق البقاء والخلود ، وقد تناقلها الناس في الشرق والغرب ، لروعتها وبراعتها .

وفي رأينا ، أن هذه القصة ، على براعتها وحسنها ، تريد نسيج حالة « أسطورية » ، حول اسم الشيخ ، ليس الشيخ محتاجاً إليها ، لأنه صنع لمجد الإسلام ولمجد العرب ما يغنيه عن « الأساطير » ، والروايات الموضوعة !

أسطورة « الفريد » .. وخوف ابن سويلم !

وأول ما يؤخذ على رواية ابن بشر أنه جعل الشيخ يخرج من العينة ، في فصل الصيف ، وفي غاية الحر وماشياً على قدميه ..

وعلى هذه الصورة أيضاً أخرجه ابن بشر ، قبل ذلك ، من البصرة ! ..
ثم هو اصعبه بفارس ثم بقتله مراراً ، تنفيذاً لأوامر سيده ابن معمر ، ولكن الله سبحانه القي في قلب الفارس الرعب وحرف عن الشيخ كيده ..

وأخيراً يدخل « ابن بشر » الشيخ في مدينة الدرعية ، على حين غفلة من أميرها ، وينزله في دار رجل من أنصاره ، امتلاً قلبه رعباً من قدومه عليه ، لما يخشاه من غضب الأمير .. ولولا « وساطة » زوجة الأمير .. لما صلت الأحوال .. ولما

استطاع أن يقرر للأمير التوحيد .. ويجعله من أشد أنصاره !

كل أولئك مبالغ فيه إن لم نقل : غير صحيح !

وفي اعتقادنا أن الشيخ ، لم يخرج من العينة ، الا بعد أن دعت الدرعية إليها ، ولم تكن الدرعية غريبة عن دعوة الشيخ ، فقد كان الشيخ قبل التجائه الى الدرعية ، على صلة وثيقة بعدد غير قليل من كبار رجالها ، يكتب إليهم ويكتبون إليه ويفدون عليه ، بل دخل بعضهم في دعوته وأصبحوا من أشد أنصاره ، كالأميرين ثنان ومشاري من إخوة الأمير محمد بن سعود ، وأولاد سويلم ، وغيرهم ، وقد نستطيع أن نضم الى جدول أصدقاء الشيخ اسم مطوع الدرعية نفسه ، وولده - وإن تقلبت ببعضهم الأحوال - ، وقد نستطيع أيضاً أن نضم إلى أنصار الشيخ الفتي عبد العزيز ، ابن أمير الدرعية ، الذي كتب الشيخ ، من أجله واستجابة لطلبه ، تفسيراً لسورة الفاتحة ، شرح له من خلاله عقيدة التوحيد ؛ وكذلك زوجة الأمير محمد !

فهل كان الأمير محمد بن سعود ، يجهل كل ذلك ؟ ولو أنه كان - كما زعموا - عدواً للشيخ ولدعوته .. فهل كان يتوك ولده عبد العزيز يرسل الشيخ ؟ ان المنطق يدعونا إلى الشك في أقوال ابن بشر !

ويزيدنا تشكيكاً في روايته ، ما قرأناه في كتاب المؤرخ الافرنسي الكبير « مانجان » ، الذي استقى معلوماته من آل الشيخ وآل سعود ، الذين كانوا منفين في مصر ، فقد نقل عنهم أن أنصار الشيخ في الدرعية ، لما عرفوا حرج موقف الشيخ في العينة وتنكر أميرها له ، أبلغوا أمير الدرعية ذلك ، فأرسل الى الشيخ مع بعضهم رسالة قد تكون « رسالة شفوية » ، يدعوه فيها للمجيء الى الدرعية ، ويعدّه الحماية والمنعة .

ويضيف المؤرخ الإفرنسي الى ذلك :

« إن الأمير محمد أبلغ سلفاً باليوم الذي سيقدم فيه الشيخ على الدرعية ، فأرسل إليه عدداً من الفرسان ، لاستقباله ومواكبته على مسافة طويلة من البلدة » . ويقول « هوتسما » ، إن الشيخ صاحب معه الى الدرعية عائلته وأمواله ، وكانت

شيئاً عظيماً .

ويقول مؤلف « لمع الشهاب » ، وهو مصدر هوتسا وغيره ، « إن الشيخ خرج من العينة بعياله وخدامه وأمواله ، وإن أخاه هو الذي طلب منه الخروج ، فقال الشيخ إنه لا يخرج إلا بأمان ، له ولعياله ولأمواله ، فأعطوه ذلك ، « فبأ نفسه وعياله ومن يتبعه للخروج ، فخرجوا ذلك اليوم ، قبل غروب الشمس ، فأتوا .. قرية محمد بن سعود .. ولما وصلوا قريباً منها بنصف ساعة ، أخبر به محمد بن سعود ، فخرج يتلقاه ، هو وابنه عبد العزيز و كثير من أهل بيته وأهل بلده ، بالقبول والإكرام ، فأنزله أعلى مقام ، وأخلى بيته لأجله .

قد تكون رواية اللمع غير صحيحة ، في بعض تفاصيلها ، ولكنها في مجملها أدنى الى المنطق من رواية ابن بشر ..

أما أمير العينة ، عثمان بن معمر ، الذي جاء الى الدرعية ، بعد مدة قصيرة من هجرة الشيخ اليها يطلب منه الرجوع الى العينة ، فلم يعقل أن يأتي اليه ويطلب منه هذا الطلب .. لو أنه كان أمر فارسه بقتله ، كما زعم ذلك ابن بشر ؟

يقول صاحب اللمع ، في إحدى رواياته ، إن عثمان بن معمر طلب من الشيخ الخروج من العينة لمدة سنة أو سنتين ، ثم يعود ، متى خف غضب أمير الأحساء . وهذا ما وقع فعلاً ، فقد جاء ابن معمر الى الدرعية وطلب من الشيخ العودة الى العينة .

اننا لا نجد عند ابن غنام هذه المخاطر والأحوال التي أحاط بها ابن بشر خروج الشيخ من العينة ومسيره الى الدرعية ، فابن غنام يقول لنا ببساطة ان الشيخ نزل في أوائل الدرعية في بيت تلميذه ابن سويلم ، فلما سمع به الأمير محمد بن سعود قام من فوره مسرعاً اليه ، وسلم عليه ، وأبدى له غاية الاكرام ، ووعدته الحماية والمنعة ، وطلب منه العهد والميثاق « أن يبقى في الدرعية ولا يرحل منها الى غيرها من البلدان » .

لا شك عندنا في أن رواية ابن غنام أقرب إلى الحقيقة من رواية ابن بشر ، ولكنها ، مع الأسف ، بسيطة جداً ومختصرة جداً ، ونكاد نقول : باردة .. وهذا

اللقاء التاريخي بين الشيخ والأمير ، يستحق وصفاً حاراً شعرياً ، ووصف ابن بشر ،
وان أنكرنا بعض تفاصيله ، أحب الى قلوبنا من وصف ابن غنام ..
ولعل عذره .. أن قصته تكلم بلسان الحال ، ان لم تكن بلسان المقال .

رواية شاذة .. عن فتور اللقاء الأول

وجاء في مخطوطة « الدولة السعودية الأولى » ، لصالح العقاد :
« هناك كتاب مخطوط ، في دار الكتب الوطنية بباريس ، لا عنوان له ،
تحت رقم : « ١٠٦٦ » ، ولا يعرف مؤلفه ، ذكر فيه ، أن لقاء ابن سعود للشيخ
أول الأمر كان فاتراً . » .

وصف اللقاء في رواية اللع

يقول صاحب « لمع الشهاب » :
« .. لما اجتمع الأمير بالشيخ ، قال له :
هذه القرية قريبك ، والمكان أنت واليه ، فلا تحش أعداءك .
والله لو انطبقت علينا جميع نجد ما أخرجناك عنا .
فقال الشيخ للأمير :

أنت كبيرهم وشريفهم ، أريد منك عهداً على أنك تجاهد في هذا الدين ، والرئاسة
والامارة فيك وفي ذريتك بعدك ، وان المشيخة والخلافة في الدين فيّ وفي آلي من
بعدي أبداً ، بحيث لا ينعقد أمر ولا يقع صلح ولا حرب الا ما نراه كذلك ،
فان قبلت هذا فأخبرك أن الله بطلعك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك
والسلاطين ، وتكون عاقبة أمورك محمودة عند الله ، لأنك اتبعت الدين ونصرته ،
ولم تقصر رتبك عن رتبة الصحابة والخلفاء الذين نصروا رسول الله (ص) . وأي
منزلة أعلى من هذه المنزلة ؟

فقال محمد بن سعود : قبلت وبايعتك على ذلك .

فتبايعا ، واشترط كل منهما على صاحبه .
وبضيف صاحب اللمع الى ذلك ، في مكان آخر من كتابه ، ان مبايعة محمد
ابن سعود للشيخ على اقامة الشرع وترويج الدعوة ، ومبايعة الشيخ للأمير على
الزعامة والملك ، قد أكدت « بالحلف والعهود والمواثيق ، واتخذ على ذلك
شهود .. فصفا الأمر بينهما باطناً وظاهراً »

وفي اعتقادنا أن الشيخ لم يشترط لنفسه ولا لعقبه شيئاً من المناصب ، وان
كانت رئاسة الشؤون الدينية ، كالفتوى والقضاء والتدريس ونحوها ، لا منصب
الامامة ، كانت بيد الشيخ في حياته ، ثم صارت الى أولاده بعد موته ، غير ان
ذلك لم يكن بفضل الشروط والمعاهدات .. وانما وقع التسليم به بطبائع الأشياء ،
لمكانة الشيخ وخلفائه من بعده في نفوس القوم ، ولقوتهم وأمانتهم وعلمهم
وصلاحهم .

الفصل الثاني

الدرعية في عهدِها الجَدِيدِ

الدرعية قبل هجرة الشيخ اليها

كانت الدرعية ، قبل وصول الشيخ اليها ، بلدة صغيرة ، ويقال ان عدد بيوتها ما كان يتجاوز السبعين ، وكان رئيسها محمد بن سعود يديرها على أسلوب عشائري ابتدائي ، ويأخذ من أهلها ضريبة كانوا يسمونها : « القانون » أو الأخوة أو « الحوة » - ولعلها تحريف للأخوة - وذلك لقاء حمايته لهم وإقامته الأمن والعدل بينهم ..

وكان أهل الدرعية حنابلة ، ولكن اسماً لا حقيقة ، وكان لهم « مطوع » ، ولكنه لم يكن مطوعاً يدعو الى الدين الصحيح ، وإنما كان ، كسائر المطوعين في نجد ، منغمساً في البدع ، يكتب للناس الحجب والطلاسم ، ويتقبل منهم النذور لغير الله ، وكان الناس يؤمنون بقدرة أوليائهم المحليين على جلب الخير اليهم ودفع الضرر عنهم ، وكانوا يعتقدون مثل ذلك ببعض الأشجار والأحجار . قال ابن غنام : « ويكثر ذلك منهم عند قبر زيد بن الخطاب ، فيدعونه لتفريب الكرب .. وكان ذلك في الجيلة مشهوراً .. »

وكذلك « قريوة » ، في الدرعية ، يزعمون ان فيها قبوراً أصبح فيها بعض الصحابة مقبوراً ، فصار حظهم في عبادتها موفوراً ، فهم في سائر الأحوال عليها يعكفون .. وكان أهل تلك التربة أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبة .
وفي أسفل الدرعية غار كبير .. يزعمون ان الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى : « بنت الأمير » ، أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ودعت ، فانفلت لها الغار .. فكانوا يرسلون اليه اللحم والخبز .
وعندهم رجل من الأولياء يسمى « تاج » .. صرفوا اليه النذور والدعاء ، واعتقدوا فيه النفع والضرر .. ويأتي اليهم من بلدة الحرج الى الدرعية ، لتحصيل ما له من النذور .. يزعمون انه أعمى ، وانه يأتي من بلدة الحرج من غير قائد يقيده .. »

الدرعية بعد هجرة الشيخ

سنة هجرة الشيخ

يختلف المؤرخان ابن غنام وابن بشر في تحديد السنة التي هاجر فيها الشيخ الى الدرعية ، فابن غنام يقول إنها كانت عام ١١٥٧ وابن بشر يجعلها عام ١١٥٨ ، ونحن نرجح رواية ابن غنام ، لأنه يؤيدها بقوله إن الشيخ بقي في الدرعية سنتين يدعو الى الدين بالنصح والوعظ ، سلماً .. ثم بدأ الجهاد بعد انقضاء السنتين ، وكان هذا عام ١١٥٩ .

أصحاب السابقة من الأنصار

يذكر ابن غنام أسماء طائفة من أصحاب الشيخ الذين آزره في الدرعية مؤازرة صادقة وأعانوه في نشر دعوته وقاموا بذلك أحسن قيام ، منذ الأيام الأوائل وهم : اخوة محمد بن سعود الثلاثة (ثيان ومشاري وفرحان) ، والشيخ أحمد بن سويلم والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الحزيمي وعبد الله بن دغيثر وسليمان الوشيقري ومحمد بن حسين وأخوه ، وغيرهم .

هجرة الانصار

ولما استقر الشيخ في الدرعية وجهر بالدعوة ، أخذ كثير من انصاره وتلامذته ،

في مختلف بلدان نجد ، يقدمون عليه ويهاجرون اليه ، وكان في مقدمتهم جماعة من رجال العينة .

ولما رأى ذلك عثمان بن معمر ، أمير العينة ، جاء بنفسه الى الشيخ ، وألح عليه في العودة الى العينة وبايعه على السمع والطاعة ، ووعدته المنعة والنصرة ، ولكن الشيخ آثر البقاء في الدرعية ، لما مضى من عهده لمحمد بن سعود .

وفي ابن بشر أن الشيخ قال لعثمان : « ليس هذا اليّ » ، إنما هو الى محمد بن سعود ، فان أراد أن أذهب معك ذهبت ، وان أراد أن أقسم عنده أمت ، ولا أستبدل برجل تلقاني بالقبول غيره الا أن يأذن لي .

فأتى عثمان الى محمد ، فأبى عليه ، ولم يجد الى ما أتى اليه سبيلاً ، فرجع الى بلاده .

وكان الشيخ ينفق ، ما استطاع ، على المهاجرين من أنصاره ، وكان عددهم يتكاثر يوماً بعد يوم ، وكانوا في كثير منهم فقراء ، وكان أهل الدرعية أنفسهم يومئذ في ضيق يقرب من الفقر لما يستطيعون مساعدتهم ، لذلك كان المهاجرون ، كما يقول ابن بشر : « في أضيّق عيش وأشد حاجة ، وابتلوا بلاء شديداً ، فكانوا في الليل يأخذون الأجرة ويحتفون ، وفي النهار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث والمذاكرة » .

بناء مسجد كبير وفرشه بالحصا

ويقول صاحب « اللمع » :

« قال محمد بن عبد الوهاب لعبد العزيز : ابنوا لنا مسجداً كبيراً ، ليحضر جميع رجال القرية فيه عند كل صلاة .

فأمر محمد بن سعود ببنائه ، وهم أهل الوادي بالبناء حتى تم . فقال الشيخ : ينبغي أن لا يفرش في هذا المسجد الا الحصيات ، لأن مسجد الرسول (ص) . كان كذلك » .

الصلاة في المساجد الزامية

فأخذ يأمر الناس بالذهاب الى المسجد للصلاة جماعة ، وكان يقول :
« كل من لا يحضر الصلاة ، مع قدرته عليها ، عزرائه » .

دروس للرجال والنساء

ثم انه وضع درس التوحيد في المسجد صباحاً ومساءً ، كل يوم .
وكان يأمر النساء والصبيان بحضور الدرس ليستمعوا قواعد التوحيد منه .
وقد نقل الينا أن رجلاً من اهل الوادي ، ما كان يحضر الدرس ، فامر محمد بن عبد الوهاب باحضاره ، فقال له : لم لا تحضر مع الجماعة للدرس ؟
فاخذ الرجل يتعذر ، فقال محمد بن عبد الوهاب : لا بد لقبول توبتك من أن تخلق لحيتك أو تغرم مائة ذهب .
وكان الرجل متوسط الحال فرضي باداء المال ، لأن خلق اللحية أقبح ما يكون شرعاً وعرفاً عربياً .

التوحيد وثلاثة الاصول

ويقول ابن بشر إن الشيخ بدأ بتعلم الناس التوحيد ، فأمرهم بتعليم معنى « لا اله الا الله » ، وأنها نقي وأثبت ، « فلا اله » تنفي جميع المعبودات .
و « الا الله » ، تثبت العبادة لله وحده ، لا شريك له .
ثم أمرهم بتعلم ثلاثة الأصول ..
فلما استقر في قلوبهم معرفة التوحيد .. أشربت قلوبهم محبة الشيخ ، وأحبوا المهاجرين وآووم .

اجماع اهل الدرعية

استطاع الشيخ خلال سنة واحدة أن يدخل أهل الدرعية كلهم في الدين الحق

ويعلمهم جوهر التوحيد ، ويقول مؤلف « اللع » في ذلك : « كان الشيخ يجلس للدرس .. ومضى على هذه الحالة سنة ، يرغب أهل الوادي في ذلك المذهب ، ويجرضهم على الصبر على عداوة من يخالفه ، فلما تمت السنة صار أهل الوادي كلهم ، كبيرهم وصغيرهم ، ذكراً وأنثاهم ، على دينه وتحت طاعته ، الا أربعة رجال .. فانهم خرجوا بأهاليهم .. فسكنوا بلداً في الوشم يقال لها ثرمداء » .

مكاتبة أهل البلدان

وأرسل الشيخ كتاباً إلى العلماء والمطوعين في بلدان نجد ، وكانت رسائله « أو نشراته وبياناته بلغة اليوم » ، تصل الى مختلف المدن والقرى ويتداولها الناس ، فيرضى عنها فريق ويسخط عليها فريق ، شأن كل دعوة اصلاحية .

الشيخ يخترع أسلحة نارية

ومن أعجب ما يرويه صاحب « اللع » أن الشيخ اخترع أسلحة نارية حديثة ، قال :

« كان محمد بن عبد الوهاب .. عاقلاً مدبراً متأملاً في الأشياء ، عارفاً بجميع العلوم ومن جملة نكته التي تشعر بتدبير الحروب أنه كان يأمر أهل الدعوة بتعلم رمي البندق ، وهو الذي استخرج لهم هذه البنادق التي عندهم ، وكانوا قبل ذلك ، في نجد ، لهم « تفقان » دون هذه ، على طور ما لأهل اليمن .. »

اكرام محمد بن سعود وأولاده للشيخ

ويشير صاحب اللع الى اكرام الأمير للشيخ ، فيقول : « كانت العادة جارية بأن محمد بن سعود يزور الشيخ كل يوم مرتين ، صباحاً ومساءً ، هو وابنه عبد العزيز وبقية أولاده ، وكانوا يجلسون عنده متأدبين صامتين ، لا ينطقون بشي ما لم يحادثهم به أولاً ، ويدرسون على يده علم التوحيد الذي صنفه ، لكن يدرسون درساً خاصاً في مجلس على حدة » .

وَصَفَ التَّغْيِيرَاتِ الْمَرْحِلَةِ الَّتِي طُرِئَتْ عَلَى الدَّرْعِيَّةِ

تغيرت الدرعية بعد هجرة الشيخ إليها تغييراً كاملاً ، وقد نستطيع تلخيص مظاهر هذا التغير بما يأتي :

أولاً - إبطال الأسلوب « العشائري » الذي كان مُجسِّمًا به الناس ، وحل محله حكمٌ نظامي ، مدني ، دستوره الإسلام .

ثانياً - أبطلت الإخاوة ، أو « القانون » ، وأصبحت موارد الدولة هي الموارد الشرعية من الزكاة والغنائم ، ونحوها من الموارد التي أحلها الله .

وكان الناس يسمون رجال الأمير الذين يأخذون منهم الأموال مكاساً وعشاراً ، ولما دخلت الدرعية في الدعوة صار الأمير يرسل « العمال » لقبض الزكاة وخرص الثمار .

ثالثاً - أقيم قضاء لفصل الخصومات بين الناس بالحق ، ولم تعد القوة حكماً في الخلافات التي تقوم بين الناس ، وبذلك تنعم الجمهور بنعمة الأمن والاستقرار والعدل ، وكان محروماً منها ، لأن القوي كان يعتدي على الضعيف وبأخذ منه ما أراد ، فلا يجد من يشكو إليه ليرد عليه حقه .

رابعاً - نشطت حركة التعليم نشاطاً عظيماً ، ونولى الشيخ بنفسه مهمة التدريس والإشراف على المدرسين في الدرعية ، وفي سائر البلدان التي تنضم إلى الدعوة ، فأصبحت الدرعية « مدينة جامعية » ، يتوافد إليها الطلاب من كل مكان ، ويجتمع

إليها العلماء من مختلف البلدان .

قال الفقي: « كان من أهم ما خدم به الشيخ ابن عبد الوهاب الناس ، أن رفع عن قلوبهم غشاوة الجهل .. فحارب الأمية بكل ما استطاع من قوة ، وكان يلزم كل واحد من أتباعه تعلم القراءة والكتابة مهما كانت سنه ، ومهما كانت منزلته ، حتى كان الأمراء يقرأون مثل بقية الناس ، فصار منهم العلماء المدرسون ، كالإمام سعود الكبير ، .

وكان تعليمه إياهم بتعليم كتابة القرآن وحفظه ، كما يصنع مع صبية المكاتب ، ثم وضع الرسائل السهلة العبارة ، القريبة إلى عقول البسطاء ، في بيان التوحيد . وكان يلزم الناس أن يحفظوا القرآن ، ثم يطالعوا هذه الرسائل ويحفظوها ، فكان ذلك من أقوى الأسباب لانتشار هذه الدعوة وسرعة انتقالها إلى ما وصلت إليه من بقاع الأرض .

وذلك طبعاً كان يستند إلى سيف آل سعود ونصرتهم .

خامساً - حمل الناس على تنفيذ أوامر الدين والالتفاء عن نواهيه ، وكانوا يكرهون بالقوة على حضور الصلوات في الجوامع .

ويقول ابن بشر : « اجتمع الناس على الصلوات والدروس والسؤال عن أصل الاسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومعاني قراءتها ، وتعلمها الصغير والكبير ، والقارئ والأمي ، بعد أن كان لا يعرفها إلا الخصائص » .

وانتفع بعلمه أهل الآفاق ، لأنهم يسألون عما يأمر به وينهى عنه ، فيقال لهم : يأمر بالتوحيد وينهى عن المنكر ، ويقال لهم : إن أهل نجد بمقتونكم لذلك . فانتهى أناس كثير من أهل الآفاق بسبب ما سمعوا من أوامره ونواهيه ؛ وهدم المسلمون ببركة علمه جميع القباب والمشاهد التي بنيت على القبور وغيرها من جميع المواضع الشركية ، في أقاصي الأقطار من الحرمين واليمن وتهامة والأحساء ونجد وغير ذلك ، حتى لا تجد في جميع من شملته ولاية المسلمين الشرك الأصغر فضلاً عن غيره ، حاشا الرياء ، الذي قال فيه النبي (ص) « إنه أخفى من ديب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل »

وأمر جميع أهل البلدان من أهل النواحي ، يسألون الناس في المساجد كل يوم ، بعد صلاة الصبح وبين العشاءين عن معرفة ثلاثة أصول ، وهي : معرفة الله ، ومعرفة دين الإسلام ، ومعرفة أركانه ، وما ورد عليها من الأدلة من القرآن ، ومعرفة محمد (ص) . ونسبه ومبعثه وهجرته وأول ما دعا إليه ، وهي : « لا إله إلا الله » ، ومعرفة معناها ، والبعث بعد الموت ، وشروط الصلاة ، وأركانها وواجباتها وفروض الوضوء ونواقضه ، وما يتبع ذلك من تحقيق التوحيد ، في أنواع العبادة التي لا تنبغي إلا لله ، كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والرهبة والتوكل والإجابة ، وغير ذلك .

سادساً - حل الجهاد لإعلاء كلمة الدين ، محل الغارات العشائرية القديمة ، التي كان يقصد منها مجرد السلب والنهب والعدوان .

ويقول هوتسا : « إن الشيخ كان يشرف على تعليم الناس فن استعمال الأسلحة النارية » .

ويقول ابن بشر : « إن الشيخ كان يجهز الجيوش ويبيع السرايا ، فلم يزل مجاهداً حتى أذعن أهل نجد وتابعوا » .

سابعاً - أصبحت الدرعية مركزاً للدعوة ، ينطلق منه الدعاة ، وترسل الكتب ، وتأتي إليه الوفود والضيوف ، وكان الشيخ يقوم باستقبال الوافدين وإكرامهم ، وقد يتحمل الشيخ من ماله الخاص ، أو يستدين أحياناً ، للانفاق على ضيوف الدرعية .

وقد جاء إلى الدرعية عدد غير قليل من أنصار الشيخ وقلامذته ، الذين لم يستطيعوا البقاء في بلدانهم لظلم متغلبتها ، أو طلباً للعلم عند الشيخ ، فكانوا ، أول الأمر ، في غابة الضيق ، وكانوا يعملون ليلاً^(١) ويدرسون نهاراً ، ثم وسع الله عليهم في الرزق ، بما يأخذونه من الغنائم ، وقد دفع عبد العزيز مرة غنائم إحدى

(١) ابن بشر

المعارك كلها - بعد أن تخلص المقاتلون عن حقهم فيها - إلى الشيخ ، لينفقها على طلابه المحتاجين .

لم تكن الدرعية مركزاً للدعوة فحسب ، ولكنها كانت كذلك قاعدة الدولة ، فأخذت تتسع في رقعتها ، وفي عمرانها ، وفي عدد سكانها ، وبدأت تظهر عليها دلائل الرخاء ، وأصبحت « مدينة » ، بعد أن كانت « قرية » .